د. عبدالله المدني
elmadani@batelco.bh

أفريقيا السوداء التائهة منذ استقلالها

عدت للتو من المغرب الشقيق بعد مشاركتي في الدورة 36 لمنتدى أصيلة السنوي التي احتفت هذه السنة بالبحرين كضيفة شرف، فأفردت مساحة واسعة لتعريف الجمهور المغربي بفنون وتراث البحرين ونتاجها الفكري والأدبي، علما بأن مشاركتي هذه كانت بدعوة خاصة من الأمين العام للمنتدى الصديق المفكر محمد بن عيسى، وليس ضمن وفد وزارة الثقافة البحرينية الموقرة.

وللذين يجهلون طابع هذا المنتدى الذي بدأ يتوطد عاما بعد عام رغم ضعف امكانياته المالية، نقول انه يتميز عن بقية المنتديات في أنه لا يحتضن ضيوفه دفعة واحدة وانما على مراحل، بمعنى أن من تنتهي مهمته يغادر ليحل محله آخرون. وكان من نصيبي أن اشارك في بداية انطلاق فعاليات هذا الموسم في نهاية الاسبوع الاول من أغسطس. وهكذا وجدتُ نفسي محشورا بين عدد من المسئولين من أفريقيا السوداء في جلسة حول مفهوم الدولة الوطنية والمخاطر التي تواجهها، إضافة إلى موضوع التكتلات الاقليمية في عالم اليوم وجدواها في خلق التنمية المستدامة وانقاذ الأوطان من الفقر والحروب والتمزق.

ولعل القراء الأكارم الذين يتابعون مقالاتي يعرفون أني لا أتناول الشأن الأفريقي إلا حينما يتقاطع مع الشأن الآسيوي الذي هو مجال تخصصي الأكاديمي، غير أن وزير خارجية جمهورية بوركينا فاسو الاسبق «يوسف ودراووغو» الذي كان مشاركا معنا استفزني بإلقاء كامل اللوم على ما تعانيه دول القارة السوداء من تخلف وتمزق وحروب داخلية ومذابح بشعة على المستعمر الأبيض.

ومع الاعتراف دون مواربة بأن هذا المستعمر الابيض، سواء أكان بريطانيا او فرنسيا او ايطاليا او بلجيكيا، قد نهب ثروات القارة وفتت دولها وامعن في اذلال شعوبها ودمر هويتها الوطنية، فإنه حمل عصاه ورحل منذ عقود طويلة تاركا مقدراتها في أيدي حكوماتها الوطنية ورموزها الاستقلالية، بل أنه حينما غادرها أورث الأخيرة بنية تحتية لابأس بها كان بالامكان البناء عليها، ونظاما للحكم كان من الممكن ترشيده وصيانته. غير أن ما حدث للأسف هو أن حكومات ما بعد الاستقلال راحت تتناحر وتتنافس فيما بينها وتسخر كامل إمكانيات دولها المتواضعة للمصالح الشخصية والفئوية والقبلية، الأمر الذي حرض العسكر على القيام بإنقلابات عسكرية متتالية تحت شعار الاصلاح والانقاذ الذي لم يترجم إلى واقع وإنما قضى على البقية المتبقية من مفهوم الدولة المستقرة. والشواهد على ما نقول أكثر من أن يتحمله هذا المقال. فمقاديشو مثلا التي كانت توصف بزهرة أفريقيا وميناؤها العطر يوم أن جلا عنها الانجليز والطليان في عام 1960 صارت اليوم عاصمة لدولة لا وجود لها، ومرتعا للإرهابيين واللصوص والقراصنة. وليبيريا التي نالت إستقلالها في عام 1950 قبل غيرها من شقيقاتها لم تضمد جراحاتها منذ أن قام عريف في جيشها يُدعى «صموئيل دو» بإنقلاب على حكومة الرئيس الديمقراطي «وليم تولبرت الإبن» في عام 1980 ليلقى العريف مصرعه بعد وقت قصير وتداس رأسه بأحذية زملائه العسكرية الثقيلة أمام كاميرات التلفاز، ولتدخل بلاده نفق حربين أهليتين خلفتا أكثر من ربع مليون قتيل ومليونا من اللاجئين. وقس على ذلك ماحدث في ساحل العاج وأثيوبيا اللتين نعمتا باستقرار طويل نسبيا في ظلي الرئيس فيليكس هوفييه بوانييه والامبراطور هيلاسلاسي على التوالي قبل أنْ ينقلب عليهما العسكر الطامع في السلطة والثروة. وبطبيعة الحال فالصورة تبدو أكثر قتامة في نيجيريا، الدولة النفطية الافريقية الكبرى، التي تعاني من الترهل والفساد والارهاب، وفي جمهوريتي بوروندي وراوندا اللتين شهدتا أكثر المذابح القبلية وحشية في القرن العشرين ما بين قبيلتي التوتسي والهوتو. وإزاء كل هذه الشواهد والتراجعات لم يكن غريبا أن يدعو مفكر كيني بارز هو البروفسور علي مرزوقي قبل سنوات إلى إعادة إستعمار القارة السوداء كحل لوقف انحدارها نحو المزيد من الخراب والدمار.

وعليه فإن ما قاله الوزير البوركيني في منتدى أصيلة ليس سوى مكابرة وتهرب من محاسبة الذات والاعتراف بالمسئولية، والا ماذا نقول عن دول آسيا التي تعرضت للنهب والاستغلال على يد المستعمر الابيض ذاته، وربما بقدر أكبر، لكنها فاجأت العالم بامتلاك حكوماتها الوطنية وزعمائها الاستقلاليين لرؤية صائبة وفكر مستنير مهدت الطريق أمام نقل أوطانهم إلى آفاق الرخاء والتنمية والنهضة والاستقرار حتى باتت هذه الأوطان منارة يسترشد بها الآخرون في مختلف المجالات.

واذا ما أتينا لموضوع التكتلات الاقليمية نجد أن دول القارة السوداء لم توفق أيضا في الارتقاء بمنظمة الوحدة الافريقية التي لها من العمر اليوم اكثر من نصف قرن تأسست في أديس أبابا في يوليو 1963 إلى تكتل اقليمي فاعل، وكان كل ما فعلته هو أن غيرت إسمها في مايو 2002 إلى الاتحاد الافريقي، في الوقت الذي نجد فيه تكتل آسيان الذي يضم دول جنوب شرق آسيا والهند الصينية يسير بخطى وثابة نحو تحقيق التكامل الاقتصادي على غرار دول الاتحاد الاوروبي على الرغم من وجود بعض التباينات السياسية بين أعضائه العشر، وعلى الرغم من ظهوره على السطح في عام 1967 أي بعد منظمة الوحدة الافريقية بأربع سنوات.

للرجوع للمقالات السابقة

> ما قاله الوزير البوركيني في منتدى أصيلة ليس سوى مكابرة وتهرب من الاعتراف بالمسؤولية

عبيدلي العبيدلي
ubaydli@alnadeem.com

غزة ... فرحة لم تكتمل

لا أحد ينكر أن ثمن صمود غزة كان باهظا بكل المقاييس، وأن عرسها كان دمويا جراء إصرار إسرائيل على الكشف عن كل ما تحمله همجيتها من حقد تاريخي دفين على الشعب الفلسطيني، أفرغته في عملية «الجرف الصامد. مقابل ذلك، ليس هناك من في وسعه أن ينفي أن إسرائيل قد فشلت في تحقيق أهدافها الاستراتيجية من وراء تلك العملية، والتي كما يلخصها الباحث في الشؤون الإقليمية سامح راشد:

أ- كسر إرادة المقاومة الفلسطينية.

ب- استكشاف التطور الذي وصلت إليه القدرات العسكرية للمقاومة تسليحا وتدريبا وتخطيطا.

ت- القضاء على أكبر قدر من تلك القدرات، بما في ذلك استنزاف مخزون الصواريخ وتدمير منصات إطلاقها. وقطع شرايين الإمداد العسكري والمدني عبر الأنفاق.

ث- إحداث دمار واسع النطاق في القطاع ككل، بحيث يتطلب الأمر وقتا طويلا ومبالغ طائلة لإعادة الإعمار.

ج- قطع الطريق على التوجه الفلسطيني نحو المصالحة، بفرض أمر واقع جديد يعيد تعميق الفجوة بين حماس والسلطة.

بطبيعة الحال، يستثنى من ذلك الفشل البند (ث)، حيث تمكنت إسرائيل، وكما يقول الكاتب تحقيق «الدمار الواسع لبنية ومنشآت القطاع». كما قدم الشعب الفلسطيني، بالإضافة إلى ذلك، الآلاف من الشهداء وعشرات الآلاف من الجرحى والمصابين والمشردين.

لكن المحصلة العامة لتلك الحرب، كانت فرحة نضالية عاشها الفلسطينيون، ومن ورائهم العرب، وعرسا حقيقيا بكل آلامه ومخاضاته، فها هي آلة الحرب الصهيونية تضطر إلى خوض أطول الحروب العربية –الإسرائيلية زمنا، والتي لم تنحصر كلفتها في الخسائر الاقتصادية المباشرة مثل إغلاق مطار بن غوريون، بل امتدت كي تلقي بظلالها على علاقات إسرائيل السياسية مع أقرب حلفائها في المعسكر الغربي، الذي لم يكن في وسعه أن يجاهر، كما دأب دوما، بانحيازه المطلق للصف الإسرائيلي، واضطر إلى الاعتراف، مرغما، بنازية إسرائيل من جهة، ويشيد بالصمود الفلسطيني، ولو على استحياء، وفي شيء من التردد، من جهة ثانية.

لكن، وذلك ما يحز في النفس، بل ويثير الاستغراب، ويرفع أكثر من علامة استفهام، لم تكد مفاوضات القاهرة أن تنهي جلساتها، وقبل أن يجف حبر الاتفاقية الموقعة بين الأطراف المتحاربة، انفجر الخلاف من جديد، وعلى نحو غير متوقع، وبشكل يثير الاشمئزاز، بين حركة «فتح» وحركة «حماس»، وتطورت الملاسنات الكلامية، كي تتحول إلى اتهامات تمس صلب الصمود الفلسطيني في غزة. فالوحدة الفلسطينية التي لمسناها خلال ذلك العدوان، وأثناء المفاوضات، دمرها التراشق السياسي الذي ما يزال مستمرا بين التنظيمين الرئيسين في الساحة الفلسطينية وهما «فتح»، و«حماس».

وبدأ مسلسل الإدانات حيث اتهم بيان صادر عن اللجنة المركزية لحركة «فتح» «إقدام مليشيات حماس خلال العدوان بإطلاق الرصاص على أرجل وأجساد العشرات من كوادر وأعضاء حركة فتح والاعتداء عليهم بالضرب المبرح وتكسيرهم وصل بعضهم للعلاج في مستشفيات رام الله والخليل ونابلس، وفرض الإقامة الجبرية على أكثر من ثلاثمائة من كوادر وأعضاء الحركة في منازلهم بالرغم من إدراك حماس مدى خطورة ذلك على حياتهم وحياة أسرهم في ظل العدوان والقصف الإسرائيلي .... وابقاء المعتقلين السياسيين من كوادر ومناضلي حركة فتح في سجونها، بالرغم من اخلاء هذه السجون التي تعتبر هدفا مباشرا للقصف الإسرائيلي».

وعاودت «حماس»، تشكيكها في وطنية «فتح»، واستندت في ذلك إلى مشاركة الرئيس الفلسطيني محمود عباس في مؤتمر عقد بتاريخ السابع من أغسطس، وما جاء في الخطاب الذي ألقاه خلال ذلك المؤتمر.

ساذج من يتوهم بتلاشي التباينات بين «حماس» و«فتح»، فالاختلافات بينهما ذات طبيعة جوهرية وتستمد جذورها من الانتماءات الفكرية لكليهما. فبينما تنحدر «حماس» من مرجعيات دينية صرفة، تنتمي «فتح»، إلى فكر مدني يمزج بشيء من المرونة بين الالتزام الديني، والانتماء المدني، بالمعنى السياسي للتعبير. لكن منطق حركات التحرر الوطني يصر على أن مثل هذا الخلاف مهما بلغ اتساع دائرته، لا يمكنه أن يطغى على التناقض الرئيس مع العدو الصهيوني، الذي يفترض أن يكون كافيا لتقليص تلك الخلافات تحت راية وحدة سياسية وطنية تضع جانبا كل الاختلافات العقائدية التي يفترض فيها أن تتراجع من رأس سلم الأولويات في مرحلة التحرر الوطني، كما شهدناها في سلوك حركات تحرر أخرى، تعتبر فيتنام الأكثر قربا لذاكرتنا، كي تقبع في أدنى تلك درجات ذلك السلم.

خطورة هذا التفتت المبكر، الذي قضى على الوحدة الوطنية التي كرستها معارك مواجهة «الجرف الصامد»، أنها، بالإضافة إلى مساهمتها في تهشيم الصورة المضيئة التي كسبتها القضية الفلسطينية بفضل صمود الفلسطينيين لخمسين يوما في وجه آلة حرب تعد من بين الأشرس على الصعيد العالمي، تفقد التضامن العربي والدولي الذي حققه ذلك الصمود نسبة عالية من زخمه، الأمر الذي من شأنه ان يفقد الثورة الفلسطينية الكثير من الأسلحة التي هي في أمس الحاجة لها، وفي مقدمتها المساعدات المالية التي يفترض أن تكون ضخمة، لإعادة تعمير غزة.

عرس لم يكتمل، وفرحة لم تتم، قضت عليهما تلك الخلافات التي لا يعلم سوى الله، بالنهاية التي ستؤول لها، والتي لن تصب، في حال استمرار ذلك النزاع، في أي مكان سوى طاحون المصالح الصهيونية.

وفي خضم هذه الحالة من الألم يحضرني قول الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»، حين يدعو حاثا على الوحدة الوطنية: «وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه، وأن طاعته خير من الخروج عليه، لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء، ولم يستثنوا من ذلك إلاَّ إذا وقع من السلطان الكفر الصريح، فلا تجوز طاعته في ذلك، بل تجب مجاهدته لمن قدر عليها».

أليس في ذلك دعوة صريحة واضحة لنبذ الخلافات الثانوية لصالح تلك الرئيسة؟ وهل هناك عدو أكثر سفورا من العدو الصهيوني؟

للرجوع للمقالات السابقة

> الخلافات الفلسطينية لن تصب سوى في طاحون المصالح الصهيونية

صلاح الجودر
Sh.s.aljowder@gmail.com

الملك عبدالله والنصيحة التاريخية

تابع العالم قبل أيام قليلة خطاب خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود في حفل استقبال سفراء الدول الإسلامية والعربية والصديقة لما يحمله «الخطاب» من مخاوف على البشرية والحضارة الإنسانية، يمكن اعتبار الكلمة السامية لجلالة الملك عبدالله نصيحة أو تحذيرا أو تنبيها أخيرا لزعماء العالم، فقد وجه خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله رسالته التحذيرية للعالم محذراً من خطورة الإرهاب وما يحمله من مشاريع تدميرية ليس للمنطقة العربية كما يتوهم البعض، بل للعالم بأسره، لذا جاء خطاب خادم الحرمين الشريفين من موقع المسؤولية الإنسانية والإسلامية.

ما طرحه خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله في خطابه كان بسبب تقاعس زعماء دول العالم من التحرك السريع لمواجهة الإرهاب، والتصدي لجماعاته الدموية، وقد أشار في كلمته إلى سكوت العالم وصمته أزاء أعمال القتل وقطع الرؤوس التي تسبح في مراكز التواصل الإجتماعي: «وأنا شفت أن أغلبكم ما تكلم عنهم إلى الآن»، وهذه حقيقة يراها كل ذي عينين، فالكثير من هيئات ودول العالم وفي مقدمتم هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن والمنظمات الدولية ومراكز حقوق الإنسان قد أصمت آذانها، وأغشت أعينها عما يجري في العراق وسوريا من قتل وقطع للرؤوس وسفك للدماء!!.

لقد حذر خادم الحرمين الشريفين الدول الأوروبية من مغبة سكوتها وكأن الأمر لا يعنيها، فجاء تحذيره لها بأن أمامها شهر لترى الجماعات الإرهابية وهي تعبث بأمنها واستقرارها، بل سيقطع في الشهر الثاني المحيط الأطلسي ليصل إلى شواطئ الولايات المتحدة مباشرة، وهذه هي القراءة الواقعية للملك عبدالله لما يراه من سرعة تحرك تلك الجماعات التي رفعت شعار الخلافة الإسلامية «داعش» لتضرب حدود الدول مستخدمة في ذلك القتل والعنف والإرهاب، فتحذير خادم الحرمين لأوربا وأمريكا جاء بسبب انخراط بعض أبنائهم مع تلك الجماعات، ولعل إعدام «داعش» للصحفي الأمريكي «جيمس فولي» على يد شخص أوروبي يتقن اللغة الأنجليزية لدليل على تورط بعض الشباب الأوربي مع تلك الجماعات، الذي أغرته شعارات الجهاد والتضحية والفداء!.

في قراءة سريعة لتاريخ الجماعات الإرهابية نجد أن بدايات الظهور كانت بعد سقوط العاصمة الأفغانية «كابول» عام 1990م على أيدي المجاهدين الأفغان المدعومين ببعض الجماعات الدينية، وهي جماعات انتقلت من المنطقة العربية للحصول على موطئ قدم، وفعلا إستطاعت من تشكيل هياكلها التنظيمية قبل أن يتم مطاردتها في جبال أفغانستان عام 2001م، من ذلك التاريخ بدأ الإرهاب والقتل تحت شعار التوحيد، والدين منها براء لما تقوم به من تشويه للإسلام، وقد وجدت لها في العراق وسوريا.

رغم فتاوى العلماء وخطب المشتغلين بالشان الديني، وتحذيرهم للشباب والناشئة بعدم السفر إلى مناطق الصراعات الإقليمية إلا أن ذلك لم ينفع معهم، فقد تم خلال الفترة الماضية ما يعرف بالربيع العربي من زرع سموم الإرهاب وأدواء العنف والدمار، وتحريضهم على مجتمعاتهم من خلال الخروج على الحكام والعلماء بدعوى أنهم لا يحكمون بشرع الله، مستندين في ذلك على ثلاث آيات في كتاب الله، «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون» «المائدة: 44»، «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون» «المائدة: 45»، «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون» «المائدة: 47»، وهذه أولى القضايا للخروج على الأنظمة والقوانين، وقطع الطريق عليهم للعودة إلى منهج الوسطية والاعتدال التي كان عليها صاحب الرسالة المحمدية عليه أفضل السلام وأزكي التسليم، ثم بدأت مرحلة تسميم العقول للخروج على الوالدين، مستدلين في ذلك على قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»، وهي بداية الصدام مع الوالدين، ومن ثم معصيتهم والهرب من محيطهم الأسري إلى بؤر الصراع بعد سرقة وثيقة السفر!!.

إن اصطياد الشباب والناشئة، وتسهيل عملية هروبهم من أوطانهم تكون في الغالب من مراكز التحفيظ ودور العبادة، حيث يتم تغذية الشباب والناشئة ببعض النصوص للخروج إلى بؤر الصراع ومنها حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لم يجاهد أو تحدثه نفسه بالجهاد مات على شعبة من النفاق»، وهو حديث تم استغلاله أبشع إستغلال حين تم التغرير بالشباب والناشئة والدفع بهم للانظمام للجماعات الإرهابية للقتل وقطع الرؤوس.

من هنا فإن الدعوة اليوم لمواجهة الإرهاب لابد وأن تنطلق من المركز الدولي لمكافحة الإرهاب، وهو المركز الذي دعا له خادم الحرمين الشريفين في الرياض عام 2005م، وتبرع حينها بمبلغ عشرة ملايين دولار، وفي هذه المناسبة تبرع جلالته بمبلغ مائة مليون دولار لتفعيل المركز تحت مظلة الأمم المتحدة.

لقد كانت نصيحة خادم الحرمين الشريفين إلى زعماء العالم واضحة وصريحة، فالعالم بأسره يعلم «الإرهاب وخلفية الإرهاب»، ومن هذا المنطلق فإن المسؤولية اليوم تقع على دول العالم لاخذ زمام الأمور والتصدي لتلك الجماعات التي لا تعترف بقيم أو مبادئ إنسانية.

للرجوع للمقالات السابقة